

## آفاق المعرفة



## الدلالات الإنسانية المعاصرة في مفهوم الاغتراب

د. علي أسعد وطفة\*

يعد مفهوم الاغتراب *Aliénation* من أكثر المفاهيم الإنسانية استخداماً وشيوعاً في مجال العلوم الإنسانية، ومن أكثرها قدرة على وصف مظاهر البؤس الإنساني والقهر الاجتماعي عبر علاقة الإنسان بالطبيعة والمجتمع، وهو فوق ذلك يشكل مدخلاً منهجياً مميزاً تعتمده العلوم الإنسانية في تحليل الظواهر الاستلابية في واقع الحياة الاجتماعية<sup>(1)</sup>. وإذا كان مفهوم الاغتراب يُعتمد كأداة تحليل منهجية في دراسة القهر الذي تفرضه الأوضاع الاجتماعية القائمة على الإنسان، فإنه في الوقت نفسه يشكل منطلقاً منهجياً لدراسة الأوضاع السيكلوجية الاغترابية للفرد في سياق تفاعله

\* أستاذ التربية في كلية التربية- جامعة الكويت

العمل الفني: الفنان أحمد الياس

لهذا المفهوم<sup>(٢)</sup>. ولكن الأبحاث في مجال علم النفس حول مفهوم الاغتراب عملت وبصورة مستمرة على تحقيق التوازن وإعادة الاعتبار إلى الجوانب السيكلوجية للمفهوم في دائرة التوازن والتناغم من المعطيات السوسولوجية. وفي ظل التطورات الفكرية الجديدة فإن التيارات الفكرية الحديثة تعمل باستمرار على تحقيق المصالحة والتوازن بين مفهوم الاغتراب الماركسي ومفهوم الاغتراب في التحليل النفسي. لقد أدى تأكيد ماركس على أهمية الجوانب الاقتصادية في مفهوم الإنتاج أدى إلى إهمال الجوانب الإنسانية لهذا المفهوم حتى عند ماركس نفسه. فالإنتاج الإنساني لا يقف عند حدود الاقتصاد فحسب بل يرمز إلى الفعالية الإنسانية برمتها، ويجسد قدرة الإنسان نفسه على توليد المعطيات المادية والنفسية لوجوده.

فالإنسان كما يقول هنري ليفيبر Henri Lefebvre: «يؤثر في الطبيعة ويتأثر بها وهو عندما يغيرها يتغير معها في الآن الواحد، وبالتالي فإن العلاقة النشطة بين الإنسان والطبيعة لا تتطوي على خفايا وأسرار لأن هذه العلاقة تتم عبر العمل بصورة مركزية، فالإنسان يستطيع عبر العمل أن يتجاوز حدود الحياة العفوية المباشرة في

مع معطيات وجوده الاجتماعي، وهو وفقاً لهذا التصور يأخذ بأهمية التفاعل الجدلي بين الاجتماعي والنفسي في دراسة ظواهر الضياع والاستلاب عند الإنسان المعاصر. ويشهد مفهوم الاغتراب تطوراً كبيراً في ذاته يتجاوب فيه مع الطابع المتجدد للفكر الإنساني في ضوء التحولات الإنسانية الجديدة المعاصرة في مختلف ميادين الحياة وتجلياتها. وفي دائرة هذا التجدد الفكري للمفهوم تطالعنا مفاهيم فرعية جديدة كالاغتراب الذاتي والاستلاب الاجتماعي والاضغراب السيكلوجي. ويلاحظ اليوم أن التيارات الفكرية الجديدة المعنية بالمفهوم تحاول أن توازن اليوم بين الرؤى الماركسية لهذا المفهوم وبين التصورات التي يقدمها التحليل النفسي في دراسة ورصد أبعاد الحياة الاغترابية عند الإنسان.

وإذا كانت نظرية ماركس الاغترابية تشكل منطلق التحليل الكلاسيكي في ميدان الضياع والاستلاب والاضغراب فإن الأبحاث السوسولوجية والسيكلوجية الجديدة حول المفهوم ذاته لا تقل أهمية وخطورة. لقد ألح كارل ماركس وأكد على أهمية الجوانب الاقتصادية في مفهوم الاغتراب، وهذا التأكيد أدى في غالب الأحيان إلى إغفال وتهميش الجوانب السيكلوجية والإنسانية

الحر عن وجوده، فتمنع عليه ازدهاره وتفتحه الإنساني..

تعريف المفهوم: ظهر مفهوم الاغتراب Aliénation لأول مرة في عام ١٨٣٧ في استخدامات فالريه Falret ليدل به على مظاهر الاضطراب العقلي، وبدأ هذا المفهوم فيما بعد يوظف في مجال علم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس الاجتماعي<sup>(٤)</sup>. وينطوي المعنى الأول لهذه الكلمة على معنى نقل الملكية من شخص إلى آخر إكراها. وقد استخدم الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو مفهوم الاغتراب بمعنى تحول الإنسان إلى عبد للمؤسسات الاجتماعية والنماذج السلوكية التي أنشأها وذلك في سياق تطور التاريخ الإنساني.

ويرى ماركس في الاغتراب العملية التي يتحول فيها الإنسان إلى حالة تشيؤ حيث يستعبد من خلال العمل، ويصبح بقوة عمله سلعة تباع في الأسواق. فالعمل برأي ماركس هو الذي طور الإنسان، وهو الذي زج به في أكفان العبودية ووزنانات القهر. فالعمل كما يرى ماركس يخلق الإنسان ويطوره ولكنه يمتص في الوقت نفسه كل قواه ويستعبده<sup>(٥)</sup>.

هذا ويحدد مولفان سومان Melvin Seeman خمسة أبعاد أساسية لمفهوم

الطبيعة، فهو ينتج ويبعد أشياء متعددة، وهذه الأشياء تلبى حاجاته، ولكنها في الوقت نفسه تولد حاجات جديدة دون انقطاع، وهي في الوقت نفسه تعمل على تعديل الحاجات القائمة، وفي مجرى تحقيق الإنسان لذاته في عالم الأشياء، فإن هذا الحضور الذاتي لا يعني ضياعاً للإنسان واستلاباً له، بل يرمز إلى نمائه وازدهاره<sup>(٦)</sup>.

يرى إريك فروم، في هذا الخصوص، أن الإنسان ينتج في سياق حياته مظاهر إنسانية متعددة مثل: الاتصال الإنساني، والحب، والإبداع، وحرية اتخاذ القرار في وهي تجارب إنسانية مضادة لمفهوم الاغتراب. وهو في هذا السياق يعلن أن الفن يمثل النموذج الأسمى للفعل الإنساني بوصفه إنتاجاً إبداعياً يمكن الإنسان من تجاوز عملية الوضعية الاغترابية في اتجاه دلالات إنسانية مؤكدة لمبدأ الهوية وتحقيق الذات الإنسانية Réalisation de soi.

هذه الرؤى حول مفهوم الإنتاج ودوره في تحقيق إنسانية الإنسان، أو بوصفه فعلاً إبداعياً يؤسس لتصور حول مفهوم الاغتراب ذاته، فالاغتراب هو حالة تضع الإنسان خارج ذاته، تحت تأثير نسق من العوامل التي تعيق إنتاجية الإنسان، وتعطل عملية الإبداع لديه، وتدمر إمكانياته في التعبير



الاغتراب هي : الحرمان من السلطة، غياب معنى الحياة، وغياب للمعايير، ومن ثم غياب للقيم، وإحساس بالغربة عن الذات<sup>(٦)</sup>. ويعني هذا المفهوم بصورة عامة كل أشكال القهر ومشاعر البؤس والشقاء التي يعاني منها الإنسان في الحياة.

فالإنسان كينونة جوهرها العقل والحرية والعمل والانتماء وكل ما من شأنه أن يمس هذه الأبعاد الأساسية لجوهر الشخصية يدفع

الشخصية إلى حالة اغتراب واستلاب. فالاغتراب في حدود ما ننظر إليه ونوظفه في هذه المقالة هو : الوضعية التي ينال فيها القهر والتسلط والعبودية من جوهر الإنسان، وهو الحالة التي تتعرض فيها إرادة الإنسان أو عقله أو نفسه للاغتصاب والقهر والاعتداء والتشويه. وبالتالي فإن أدوات الاغتراب هي مختلف أدوات القهر، وكل ما من شأنه أن يعاند نمو الشخصية

الإنسانية وازدهارها وتفتحها. وفي هذا السياق يمكن القول بأن مظاهر الاغتراب تتبدى في أشكال أحاسيس مفرطة بالدونية، واللامبالاة، والقهر، والضعف، والقصور والسلبية، والانهازمية. وتلك هي البوابة المنهجية لمفهومنا عن اغتراب الشخصية<sup>(٧)</sup>. ويشير مفهوم الاغتراب إلى الحالات التي تتعرض فيه وحدة الشخصية للانحطاط، أو للضعف والانهياب، بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم في داخل، أو في

- ضعف أحاسيس الشعور بالهوية مثل : الشعور بالانتماء، الشعور بالجهد المركزي، الشعور بالحب، الثقة بالنفس، الشعور بالقيمة، غياب الإحساس بالأمن.

يقول أريك فروم إن الاغتراب «نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان كشيء غريب، ويمكن القول إنه أصبح غريباً عن نفسه، إنه لا يعود يعيش نفسه كمركز للعالم ومحرك لأفعاله، ولكن أفعاله ونتائجها قد أصبحت سادته الذين يطيعهم أو الذين قد يعبدهم»<sup>(٨)</sup>. إن الفكرة السائدة في تفكير فروم عن اغتراب هي فقدان النفس لذاتها وفي هذا فقد اكتسب ذاتاً ليست هي ذاتها الحقيقية أو ما يجب أن تكون عليه حقاً .

فالإنسان وفقاً لفروم يبدع أوثاناً يسجد لها وأصناماً يعبدها، وهنا يكمن جوهر الاغتراب عند إيريك فروم. في عملية الاغتراب، عند أريك فروم، يتنازل المرء عن نفسه إزاء استسلامه لقيم المجتمع السائدة خاصة في المجتمع الصناعي الحديث، يقول في كتابه الخوف من الحرية : « إن الفرد يكف عن أن يصبح نفسه إنه يعتقد نوعاً من الشخصية المقدم له من جانب النماذج الحضارية ولهذا فإنه يصبح تماماً شأن الآخرين وكما يتوقعون منه أن يكون»<sup>(٩)</sup>.

فمفهوم الاغتراب مفهوم معقد يرتكز

داخل المجتمع. ومن هذا المنطلق فإن العقد النفسية، وحالات الاضطراب النفسي، أو التناقضات تشكل صورة من صور الأزمة الاغترابية التي تعترى الشخصية. وهذا يعني في النهاية أن مفهوم الاغتراب يشير إلى النمو المشوه للشخصية الإنسانية، حيث تفقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة.

ومفهوم الاغتراب هو الحالة أيضاً التي يتعرض فيها جوهر الشخصية للقسر والإكراه. فعندما تتعرض الشخصية الإنسانية في جوهرها العقلي، أو الثقافي، أو الاجتماعي، لنوع من التشويه والاختصاص تحدث عملية اغتراب وتشويه. ووفقاً لهذه الصيغة يمكن القول إن مفهوم الاغتراب في الشخصية يتحدد بالجوانب التالية :

- حالات عدم التكيف النفسي التي تعانيها الشخصية: عدم الثقة بالنفس، القلق المستمر، الرهاب الاجتماعي، المخاوف المرضية.

- غياب الإحساس بالتماسك والتكامل الداخلي في الشخصية.

- حالة ديمومة العقد النفسية التي تعترى الشخصية : عقدة أوديب، عقدة الخواء، عقدة النقص، عقدة الاضطهاد.. إلخ.

التأثير في الحياة الاجتماعية التي تعد إنتاجاً منظماً للطبقة البرجوازية التي تضع الطبقة العاملة في خدمتها، وهنا في هذه الحالة لا يكون إنتاج الإنسان (إنسان الطبقة العاملة) في خدمته بل يتحول إلى شيء خارجي يستعبد الإنسان ذاته، فالطبقة العاملة تنتج القوة الاجتماعية والاقتصادية وهذه القوة تتحول من جديد عبر الطبقة البرجوازية إلى قوة قهر وتدمير وعبودية ضد الطبقة العاملة التي أنتجتها، وهذا يعني أن العمل هنا لم يعد إنسانياً بل هو قوة خارجية قاهرة، ففي مجتمع مستلب (كما هو الحال في داخل طبقة اجتماعية مستلبة) لا يشكل الانتماء الاجتماعي أداة لتحقيق الذات والهوية. فمفهوم الاغتراب يقوم هنا على التناقض الاجتماعي الذي يتمثل في تقسيم العمل وتجزئة الأدوار الاجتماعية وتشثيت التجربة الإنسانية. ومن هذا المنطلق يتجلى الاغتراب هنا في صورة صراع بين الأدوار، ولاسيما في مستوى الصراع بين الانتماء إلى العائلة أو الدولة، بين الانتماء إلى الأمة وبين الانتماء إلى الطبقة الاجتماعية، بين وعي الذات ووعي الآخر، بين المصلحة الاجتماعية ومصلحة الطبقة، بين الأنا والآخر، وهذه التناقضات الاجتماعية تعطل عملية تحقيق الذات الاجتماعية كما أنها

إلى منظومة من العمليات الأساسية للعملية الاغترابية، ويمكن لنا في هذا السياق تحديد أربعة أبعاد أساسية في بنيته.

الإكراه والتسلط: العبودية التسلط الإكراه مفاهيم مركزية تعتمد في تحديد الوضعية الاغترابية للإنسان، فالإنسان المستلب المغتراب إنسان فقد حريته في الجوهر، لأن الاغتراب لا يكون إلا تغييراً للحرية. فالإنسان يكون حراً عندما يستطيع أن يمتلك زمام نفسه وسيطر على وسطه الشخصي الفيزيائي والاجتماعي، ويكون حراً عندما يكون قادراً على إبداع أشياء توضع في خدمته وتشكل أدواته في أن يكون أكثر حرية وأكثر قدرة على التحكم بوجوده ومستقبله. وعلى خلاف هذا التصور إذا كان الإنتاج الإنساني يأخذ طابعاً استعبادياً مضاداً لحرية الإنسان، عبر عمليات القهر والتسلط، فإن الإنسان يتحول إلى كائن مستلب مغتراب مهزوم بكل المعايير والدلالات الحقة في مفهوم الاغتراب، ولذلك فإن غياب المشاركة في السلطة أو في القرارات التي توجه حياته ووجوده يشكل واحد من أهم عوامل اغترابه واستلابه.

اللانتماء: يشكل اللانتماء ركناً أساسياً من أركان مفهوم الاغتراب، فأفراد الطبقة العاملة، على سبيل المثال، لا يستطيعون

تمنع عملية المشاركة في الفعالية السياسية للإنسان المحطم.

فالانتماء إلى جماعة أو طبقة أو مجتمع يتضمن وضعية من وضعيات التجانس الاجتماعي، وبالتالي فإن تحقيق الذات الاجتماعية عملية تقوم على أساس بناء علاقة إيجابية مع الآخر، وقد يكون هذا الآخر جماعة أو مجتمع أو شخص أو طبقة. وإذا كانت هناك تناقضات حقيقية في طبيعة هذه الانتماءات فإن هذه التناقضات تمنع الشخص في نهاية الأمر من الانتماء إلى نفسه، أي تشطره، وبالتالي فإنها تمنعه من امتلاك هوية خاصة، أي الشعور بالكيان الواحد الذي يستجمع مختلف تجارب الفرد، أو الشعور بامتلاك الإنسان معنى خاص لحياته الإنسانية.

الوعي المزيف: يشكل الوعي بالنسبة للإنسان طريقة في الوجود ومنهجاً في الكينونة. والوعي هو التنظيم الدينامي للحياة النفسية أنه الحالة أو الكيفية التي يتمكن الإنسان بموجبها أن يصبح موضوعاً لذاته، أي أن يجعل الفرد من نفسه موضوعاً للمعرفة وأن يكون بالتالي عبر وعيه بذاته سيداً لنفسه. ومن هنا فإن أي تناقض بين الواقع والتجربة من جهة، وبين الوعي الذاتي من جهة أخرى، يشكل

أحد أهم عوامل الاغتراب الإنساني. لقد أدرك ماركس هذه الحقيقة منذ البداية، وبين أن التصورات الخاطئة المشوهة أو هذه التي تنقطع عن الحقيقة والتجربة تشكل إحدى أهم العوامل الكابحة لعملية تطور الإنسان وتعميق إنتاجه الخلاقة وتضعه في دائرة الاغتراب. لقد بينت دراساته في «الأيديولوجية الألمانية» أن الوعي المزيف هو مجموعة من التصورات الخاطئة عن الواقع التي تؤدي في نهاية الأمر إلى تزييف الواقع نفسه وتشويه معطياته وإلى تعطيل التطور الخلاق للإنسان.

ونحن في واقع الأمر عندما نقابل بين الوعي والوجود فإنه يمكن لنا أن نميز بين الوعي الذي يتوافق مع معطيات التجربة، وهو شكل من أشكال الوعي الحقيقي، وهذا الذي يتعارض مع التجربة المعاشة وهو صيغة أخرى للوعي المزيف. فالوجود تجربة معاشة دون أن تكون كل تجربة داخلية بالضرورة في حقل الوعي، وهذا ينسحب على الأفراد والجماعات. فالوعي المزيف يشكل حالة من أكثر حالات الاغتراب حضوراً وأهمية في الحياة الإنسانية. فالعلماء يقابلون بين الوعي والوجود، أي بين المعرفة والواقع، ويحاولون اختصار المسافة الفاصلة بينهما فيكون الوعي قاب قوسين أو أدنى من

التي تحاصره وتحيط به. فالإنسان الذي لا يغير الأشياء ولا يتغير يقع في مستنقع الجمود والعدمية الاغترابية. وهذا يعني أن الإنسان الذي لا يؤثر في وسطه ولا يجدد في معالم وجوده هو إنسان يعيش حالة اغترابية إلى حد كبير. فالماركسية تفترض وجود نزعة أساسية نحو النمو الديالكتيكي عند الإنسان في اتجاه تجاوز الوضعيات الآنية فوراً، ومن هذا المنطلق ومن أجل إزالة التناقضات التي تعترض سبيل هذا النمو الديالكتيكي عند الإنسان يعمل الإنسان على بناء أدوات جديدة وأشياء متجددة (مثل الأنظمة الاجتماعية الجديدة) وبهذه الطريقة عينها تعمل هذه الحركة الديالكتيكية على إشباع الحاجات المتجددة وهي في دائرة حركتها هذه تعادل هذه الحاجات وتغيرها في آن واحد.

فالإنسان كائن متغير وهذا التغير وهو لا يبحث عن وضعية ثابتة نهائية بل وعلى خلاف ذلك يسعى إلى تحقيق حركة تغير دينامية ديالكتيكية في اتجاه أشكال جديدة من السلطة وأنماط متجددة من الانتماءات الاجتماعية، والإنسان المستلب هو الإنسان الذي يعيش حالة جمود تمنعه من تجاوز نفسه والظرف الذي يحيط به، أي هذا الذي ينغلق على ذاته ولا يستطيع المبادرة

الحقيقة المعيشية وذلك بمساعدة أدواتهم العلمية والمعرفية.

فالفيلسوف يحلل حقل المعرفة أو الوعي ويدرس نظام التصورات الخاصة بوجود الإنسان وذلك بالعلاقة مع مفهومه عن الإنسان مثل مفهوم الإنسان الكلي، وعالم الاجتماع يوازن بين تصوراته عن الحياة الاجتماعية مع الحقيقة السوسولوجية الواقعية، بما يسمح له ببناء نظريته الاجتماعية، كما أنه عالم النفس أو عالم التحليل النفسي يقابل بين وعي الفرد كما يتبدى عبر تقصياته الاكلينيكية مع مفهوم الإنسان كما يراه عبر منظومته الفكرية، وهذا ما نراه عند فروم الذي قارن بين وعي الإنسان في المجتمع الرأسمالي مع مفهوم الصحة العقلية للفرد. وباختصار فإن هذا التباعد بين التجربة والمعرفة، أو بين الوعي والوجود، يوضح لنا مفهوم الاغتراب بوصفه وعياً مزيفاً يمكن أن يقارن بالوعي الموضوعي، وهو شكل من أشكال الوعي الذي يتشكل من قبل ملاحظ خارجي ويرمز إلى حقيقة وجودية أو تحديد ذاتي للحقيقة الموضوعية.

الجمود والانقطاع: يكون الإنسان لا يكون مستلباً عندما لا يستطيع تجاوز الوضعيات النفسية والحالات الاجتماعية



والتجديد والابتكار وتجاوز اللحظات الآنية في اتجاهات أرحب وأشمل تتجاوز الحالات الراهنة بوضعية مستجدة. والإنسان يعيش حالة صراع مستمرة بين النزعة إلى التوازن والنزعة إلى التجديد والابتكار، وبالتالي فإن هذا الصراع المركزي (توازن وابتكار) يدخل في صلب التناقضات العاطفية والنفسية والعقلانية وفي مختلف مظاهر الحياة النفسية عند الإنسان. ويعيش الإنسان نظاماً معقداً من التناقضات المتداخلة والمتشابكة في اتجاهات أفقية وعمودية رئيسية وجزئية. فالتناقض بين تجربة الفرد الخاصة ووعيه بمعطيات هذه التجربة يستجمع في ذاته مختلف التناقضات الانفعالية والعقلانية التي تتجلى في الحب والحقد والكراهية والأمل والطموح والانفتاح.

#### الخلاصة:

يغطي مفهوم الاغتراب مختلف النشاطات الإنسانية والفعاليات الاجتماعية ومن هنا يجري التأكيد اليوم على الطابع الشمولي لهذا المفهوم الذي يتجاوز حدود النشاطات ذات الطابع الاقتصادي أو السياسي، وهذا يعني التحفظ على الموقف الماركسي حيث يتم توظيف مفهوم الاغتراب في التركيز على الجوانب الاقتصادية والسياسية للنظام الرأسمالي. إذا كان مفهوم الاغتراب يقارب

إلى الإنجاز والعقل. وبالتالي فإن الإنسان يعيش نسقاً من التناقضات الكبيرة في مختلف جوانب حياته ووجوده. ويمكن لنا في المستوى النظري أن نفترض أن هذه التناقضات توجد في أصل كل ممارسة إنسانية وفي كل عملية أو مرحلة من مراحل الإنتاج الإنساني بالمعنى الإنساني بالمعنى الواسع للكلمة.

والإنسان يمتلك نزعة سيكولوجية لتحقيق التوازن إزاء هذه التناقضات وتتجلى هذه النزعة في منظومة من العمليات النفسية التي تفعل فعلها في تحقيق التوازن الفرد وتماسكه إزاء التناقضات التي يواجهها. هذه العمليات النفسية تعمل على تحقيق التوازن بين تجربة الفرد وبين تصوراته العاكسة لهذه التجربة، وبمعنى آخر تحدث هذه العمليات توازناً حقيقياً بين وجود الفرد وذاته، كما أنها تعمل على تحقيق التوازن بين الهوية الفردية وصورة الفرد عن ذاته وهذا ينسحب على مختلف التناقضات التي تفرض نفسها في حقل التجربة الإنسانية للفرد أي في مختلف الاتجاهات والمواقف والقيم الصادرة عن الفرد.

وتعمل في ذات الفرد النزعة الإبداعية جنباً إلى جنب مع النزعة التوفيقية. فالإنسان مفطور على نزعة الإبداع

تتصف بالتنوع والتعدد .  
ومن الأهمية بمكان في هذا السياق أن ندرك بأن الفهم «السيكوسوسيولوجي» (النفسي الاجتماعي) يمكننا من الكشف عن المسافة التي تفصل بين تجربة الفرد الخاصة وتجارب الجماعات التي ينتمي إليها . فمفهوم الاغتراب يصف لنا الشرط الإنساني ويساعد في تحليل حقل الانتماء الاجتماعي للفرد ويغطي في الوقت نفسه الفعاليات النفسية التي تعتمل في داخل الفرد . فالاغتراب مفهوم أداتي يمكننا من تحليل تأثير الشروط الخارجية والداخلية في تشكيل وعي الفرد وتوازنه النفسي . وبعبارة اختتامية يمكننا القول بأنه لا يمكن اختزال مفهوم الاغتراب إلى أحد أبعاده النفسية أو الاجتماعية، بل وعلى خلاف ذلك فإنه هذا المفهوم يجد ماهيته وخصوصيته في وحدته الجدلية الجامعة ما بين النفسي والاجتماعي أو ما بين السوسيولوجي والسيكولوجي خارج الدلالة الأيديولوجية والسياسية للمفهوم، وبالتالي فإن الفهم الأعمق لدلالة هذا المفهوم لا يكون إلا بقراءة متأنية لنظام التفاعل بين العوامل النفسية والاجتماعية المولدة لمفهوم الاغتراب وذلك بعيداً عن الصبغة الأيديولوجية التي مني بها في بعض النظريات .

الشرط الإنساني بالدراسة والتحليل، وإذا كان تحليل الظاهرة الاغترابية قد بدأ مع اللحظة التي بدأ فيها التساؤل يدور حول دور بعض الأنظمة الاجتماعية القائمة كالمجتمع الرأسمالي، فإن ذلك كله لا يمنع من التفكير في وضعية الفرد ومعاينة شروط وجوده الفردي والنفسي ومن ثم تحليلها من خلال مفهوم الاغتراب ذاته . وهنا يجب التأكيد على أهمية وحدة العوامل النفسية والاجتماعية بوصفها عوامل بنائية متكاملة في عملية الاغتراب .

لقد اعتمد الماركسيون مفهوم الاغتراب منطلقاً أساسياً لإدانة النظام الرأسمالي برمته . وهم مع ذلك لا يرفضون الجوانب الفلسفية لهذا المفهوم التي تتصل بمفهوم الإنسان ذاته وبغاياته الوجودية في الأصل، وبعبارة أخرى لا يمكنهم رفض العوامل الفردية والسيكولوجية في بناء مفهوم الاغتراب . وعلى الرغم من الانتقادات الموجهة للتصورات الماركسية حول الاغتراب فإنه لا يمكننا أبداً أيضاً أن ننكر أهمية الجوانب الاجتماعية والاقتصادية التي تجد تقديراً أكبر في الفكر الماركسي . وفي كل الأحوال يتوجب علينا ألا نغلق بوابات الفهم الخاص بمفهوم الاغتراب لأن هذا المفهوم يأخذ أبعاداً اقتصادية واجتماعية ونفسية

الهوامش

- ١- انظر: علي وطفة، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية: بحث في إشكالية القمع التربوي، عالم الفكر الكويتية، المجلد ٧٢، العدد الثاني، أكتوبر/ديسمبر، ١٩٩٨، ص/ص ٢٤١-٢٨١.
- ٢- علي وطفة، الخلفيات التربوية المبكرة للاغتراب النفسي والعاطفي، التربية القطرية، مجلة تربوية فصلية محكمة، السنة ٢٨، عدد ٣١/ديسمبر/٢٠٠٠، ص/ص ١٠٨-١١٨.
- ٣- **Henri Lefebvre, Peur Connaitre la Pensee de karl Marx. Paris, Bordas** ١٩٤٨، ١١٩p.
- ٤- كمال دسوقي، ذخيرة تعريفات مصطلحات اعلام علوم النفس، المجلد الأول، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٨، ص٧٧.
- ٥- انظر: حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند إيريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.
- ٦- **Madeleine Grawitz: Lexique des sciences sociales. Dalloz, Paris**، ١٩٨٣، ١٢p.
- ٧- علي وطفة، المظاهر الاجتماعية للاغتراب الإنساني، مجلة المعلومات (مركز المعلومات القومي)، العدد ٤٣، نيسان ١٩٩٦.
- ٨- مجاهد عبد المنعم، في الفلسفة المعاصرة، سعد الدين للطباعة والنشر، ط١، بيروت ١٩٨٤، ص١٤.
- ٩- أريك فروم، ثورة الأمل، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الآداب، بيروت، ص١٥٠.

